مجلة المجمع العلمي

مدلولات رمز الجوارح في الشعر الجاهلي

الدكتور عبداللطيف حمودي الطائي
جامعة بغداد – كلية الآداب

الملخـــص :

القصيدة العربية الناضجة المستوفية لتقاليدها الفنية ؛ تبدأ بمقدمة ثم تنفتح على الجزء الثاني منها المتمثل بلوحة الرحلة ؛ ولوحة الرحلة تمثل الجسر الرابط بين طرفي القصيدة (المقدمة والغرض) ؛ والرحلة بمعناها الظاهر تمثل الانتقال من مكان إلى آخر ؛ وفي القصيدة من المقدمة إلى الغرض ؛ وهذا الانتقال بحاجة إلى واسطة لكي تقطع الصحراء ورمالها المترامية الأطراف ؛ والناقة هي الحيوان المثالي الذي يصلح لمثل هذه الرحلات ؛ لذلك شبهوها بسفينة الصحراء ؛ لما يتوافر فيها من القوة والصبر على تحمل المشقات ؛ والمطلوب من هذه الناقة أن تقطع الفيافي والقفار الموحشة في الحر والبرد ؛ وتحت وطأة الجوع والعطش ؛ بسرعة كبيرة لتصل بمن ارتحلها إلى شاطئ الأمان والنجاة ؛ لذلك دأبوا على تشبيه تلك الناقة بالحيوان المطارد والمستفز ؛ الهارب من قبضة الموت المتمثل على هيئة الضواري المفترسة (الكواسر) السباع والذئاب ، فضلا عن الصياد وكلابه ؛ فيشبهونها بالبقرة المسبوعة التي افترس السَبُعُ صغيرها تارة ؛ وأخرى يشبهونها بالحمار الوحش وأتنه ؛ وأخرى بثور الوحش وصراعه الدموي مع الصياد وكلابه ؛ ورابعة بضواري الطير (الجوارح) وهي تطارد فرائسها ، والجوارح هي الرمز الذي سيكون محورا لهذا البحث .

المقدمـــة : ــ

القصيدة العربية الناضجة المستوفية لتقاليدها الفنية ، تبدأ بمقدمة ثم تنفتح على الجزء الثاني منها المتمثل بلوحة الرحلة ، ولوحة الرحلة تمثل الجسر الرابط بين طرفي القصيدة (المقدمة والغرض) ، والرحلة الفنية نوعان : فالأولى تمثل رحلة بسيطة تكتفي بالناقة من غير أنْ تشبهها بحيوان آخر ، والثانية تمثل رحلة مركبة وهي التي تتكون من أكثر من لوحة ، إذ تشبه الناقة خلال هذه الرحلة بعدة حيوانات ، والرحلة بمعناها الظاهر تمثل الانتقال من مكان إلى آخر ، وهو ما يقوم به الشاعر على أرض الواقع في الأغلب الأعم ، وفي القصيدة العربية رحلة من المقدمة إلى الغرض ، وهذه الرحلة بحاجة إلى واسطة لكي تقطع الصحراء ورمالها المترامية الأطراف ، والناقة هي الحيوان المثالي الذي يصلح لمثل هذه الرحلات ، لذلك شبهوا الناقة بسفينة الصحراء ، لما يتوافر فيها من القوة والصبر على تحمل مشقات الرحلة ، والمطلوب من هذه الناقة قطع الفيافي والقفار الموحشة في الحر والبرد ، وتحت وطأة الجوع والعطش ، بسرعة كبيرة لتصل بمن ارتحلها إلى شاطئ الأمان والنجاة ، لذلك دأبوا على تشبيه تلك الناقة بالحيوان المطارد والمستفز ، الهارب خوفا من قبضة الموت المتمثل على هيئة الضواري المفترسة (الكواسر) : السباع والذئاب ؛ فضلا عن الصياد وكلابه ؛ فيشبهونها بالبقرة المسبوعة التي افترس السَبُعُ وليدها تارةً ، وتارةً أخرى يشبهونها بحمار الوحش وأتنه ؛ وتارة ثالثة بثور الوحش وصراعه الدموي مع الصياد وكلابه ، وتارة

رابعة بضواري الطير المفترسة (الجوارح) ، وهي تطارد فرائسها ، والجوارح هي الرمز الذي سيكون محورا لهذا البحث .

الجوارح عرفها الإنسان العربي منذ القدم في كلِّ بيئاته الجغرافية ، في السهل والجبل ، في البادية والريف والحاضرة ، والجوارح أنواعٌ مختلفة من حيث الشكل والحجم ، فمنها : العِقاب ، والصَقر ، والباز ، والنَسْر، والشاهين ، وقد استخدم العرب هذه الجوارح في الصيد والطرد للتسلية واللهو ، وقد عنوا بتربيتها وتدريبها عناية كبيرة ، فهي منقادة لمدربيها ومالكيها انقيادا مطلقا ، تأتي بصيدها وتضعه أمامهم ، وقد أعْجِبَ الإنسان العربي بها قديما وحديثا ، مثلما أعجِبَ بطرق قنصها ، فشبه ناقته المسرعة في مجاهل الصحراء ومفاوزها بسرعة هذه الجوارح حينما تنقض على الطريدة ، لذا فهم عندما يشبهون خيولهم بالجوارح ، يعبرون عن قوة خيولهم وسرعتها ، فهي تركض بسرعة كبيرة ، كأنـــّها حيوان مستفز مرعوب يطارده الموت ، فهي في الكرِّ تدرك العدو إنْ لحقته ، وتنجو بفارسها في الفرِّ إنْ أراد أنْ ينجو بحياته حين يرفرف الموت فوق رأسه في ساحات الوغى ، فإذا كان ثور الوحش وحمار الوحش يمثلان رمزا لقوة الفارس العربي وبطولته ، فالجوارح تمثل رمزا لقوة الفرس وسرعتها ، فهي إذا رمز القوة والسرعة في الكرِّ والفرِّ ، والجوارح التي عرفتها الجزيرة العربية هي ما يأتي :

١- **العقاب** : العقاب هو أكبر الجوارح حجما ، والعقاب اسمٌ يُطلق على الذكر، أما الأنثى فيقال لها لقوة ، وهي أشدُ شراسة وضراوة من الذكر ، وذلك لكونها هي التي تقوم بتربية الصغار وإطعامهم ،

والعقابُ طائرٌ من العتاق ، قال ابن الأعرابي : عتاقُ الطيرِ ، العـُقبان وسباع الطير التي تصيد [1] ، واللقوة هي العقاب الخفيفة ، السريعة الاختطاف ، قال أبو عبيدة : سُميت العقابُ لـَقـْوة ً ، لسعة أشداقها[2] ، وقد ورد ذكر العقاب في الشعر العربي كثيرا ، فهذا عَـبيدُ بن الأبرص يقصُ علينا رحلة تحرر قبيلة بني أسد من نير عبودية الملك حجر بن الحارث وظلمه وحكمه الجائر ، فبدأ رحلته على ظهر ناقة تَوية بازلة ، لا يتجاوز عمرها التسعُ سنوات ، ونلحظ في هذه القصيدة مفارقة رائعة تمثلت في تشبيه ناقته الفتية بحمارٍ أبيض يعيش مطمئنا في غابة ، وهو في عنفوان قوته وفتوته ، يأكل ويرتع وينام ، وقد ظهرت عليه آثار عضُ الحمير الأخرى ، الأمر الذي يؤكد أنَّ الفصل هو فصل الربيع ، لأنَّ الحمير لا يعضُ بعضها بعضا إلا في فصل الربيع ، لأنـَّه فصل التزاوج ، والصراع حول الأتن ، وهذا الحمار القوي المترف لا يعرف غير الأكل والنوم ، والمفارقة تكمن في أنَّ هذا الحال يشبه حال بني أسد في قوتهم ولكنهم يعيشون في ظلِّ حكم الملك الظالم الجائر حجر بن الحارث الكندي ، فهم مثل البهائم لا يمتلكون مشاعر ، وإلا ما رضوا بهذا الظلم والذلِّ ، ثم سرعان ما يعود ليشبه تلك الناقة بفرسٍ ضخمةٍ طويلةِ الظهرِ ، متناسقةٌ أعضاءُ جسمِها ، لها شعرٌ ناعمٌ قد تدلى على

---

[1] لسان العرب ، مادة : عقب .

[2] لسان العرب ، مادة : لقا .

رقبتها ، ثم عاد ليشبه تلك الناقة باللقوة (أنثى العقاب) المتأهبة للإنقضاض على فريستها فقال [٣] :

كأنَّها لقوةٌ طلوبٌ ... تخزنُ في وكرِها القلوبُ
باتتْ على إرمٍ رابئةً ... كأنَّها شيخةٌ رقوبُ
فأصبحتْ في غداةِ قرَّةٍ ... يسقط عن ريشها الضريبُ
فأبصرتْ ثعلبا من ساعةٍ ... ودونهُ سَبَبٌ جديبُ
فنفضتْ ريشها وانتفضتْ ... وهي من نهضةٍ قريبُ
فاشتالَ وارتاعَ من حسيسِها ... وفعلهُ بفعلُ المذؤوبُ
فنهضتْ نحوَهُ حثيثةً ... وحردتْ حردةً تسيبُ
فدبَّ من رأيها دبيبا ... والعينُ حملاقها مقلوبُ
فأدركتهُ فطرحتهُ ... والصيدُ من تحتها مكروبُ
فرنحتهُ ووضعتهُ ... فكدحتْ وجههُ الجبوبُ
فعاودتهُ فرفعتهُ ... فارسلتهُ وهو مكروبُ
يضعو ومخلبها في دفِّهِ ... لابدَّ حيزومهِ منقوبُ

رسم لنا عبيدُ بن الأبرص قصتين منفصلتين تداخلتا فيما بينهما ولكنهما تشابها في النهاية ، لذلك اشتركا بذات الكلمات والمسار، لذا فهي قصة مزدوجة ذات مسارين متوازين وبكلمات موحدة ، وقد لاحظنا كيف شبه الشاعر قومه بالحمار الذي لا همَّ له إلا الأكل والنوم ، وهم تحت وطأة الذل والظلم ، وذلك للدلالة على خنوع القوم وخضوعهم المطلق للملك حتى عرفوا بعبيد العصا ، ولكنَّ الظلم مهما

---

[٣] ديوانه : ١٨ – ٢٠ .

طال أمدهُ ، لابدَّ للمظلوم أنْ ينتفض ويكسر قيده ، وهذا ما حدث فعلا ، إذ انتفض الأسديون على الملك الظالم فقتلوه ، وبذلك عـُتقتْ رقابهم من ذلِّ العبودية ، وقد شبه الشاعر ثورة قومه على حجر بن الحارث ، بثورة اللقوة وصولتها على الثعلب ، فاللقوة مثلت رمزا لشباب بني أسد المتحفزين للثورة على الملك الظالم ، فيما كان الثعلب رمزا للملك الظالم حجر بن الحارث ، والوكر هو بيت اللقوة الذي تملئه قلوب فرائسها ، والوكر في الوقت نفسه يمثل ديار قبيلة بني أسد ، والقلوب ترمز إلى الآهات والآلام والجراحات التي ملأت قلوب الأسديين ، وكان بنو أسد مثل تلك اللقوة يتحينون الفرص للإنقضاض على الملك الثعلب ، وقد شبه الشاعر قبيلة بني أسد بامرأةٍ عجوزٍ فقدت ولدها الوحيد ، وهذا اللون من الفقد هو الأشدُ إيلاما على المرأة في مثل هذا العمر المتقدم ، فهي إنْ فقدت وليدها لا تلد غيره ، على العكس تماما من المرأة الفتية ، وهي في مقتبل عمرها ، فهي إنْ فقدتْ ولدها ، تلد ولدا غيره ، واللقوة وهي تقف على مربأ عالٍ ترصد الأحداث في جوٍ بارد قارس ، تحولت قطراتُ نداهُ إلى حبيباتِ لؤلؤ من شدة التجمد وسرعته ، لذا فهي تنفضهُ عن ريشها بين الحين والآخر ، وهذا يعبر عن صبر بني أسد وتحفزهم للانقضاض على الملك بين الحين والآخر بحثا عن الفرصة المناسبة ، وكان الفرجُ قريبا منهم ، فاللقوة في هذه لحظة أبصرت ثعلبا ، خرج من مغارته يلهو ويلعب ، وهو مزهوٌ بنفسهِ في أرض منبسطة ، والثعلب يرمز إلى الملك الذي خرج هو الآخر مزهوا في موكبه الملكي في أرض

مستوية ، ومن هنا بدأت ساعة الصفر ، فانقضت اللقوة على الثعلب ، فيما انقض فرسان بني أسد ورجالهم على الملك الظالم وموكبه ، فلما شعر الثعلب الملك بالموت قد أحاط به ، وأخذ يرفرف فوق رأسه ، ارتعب وامتلأ قلبه رعبا ، وتحملقت عيناه مثل الذي أصبح في قبضة الموت يائسا مستسلما ، وكذلك امتلأ قلب الملك رعبا وخوفا من رجال بني أسد بعد أنْ أحاطوا بموكبه من كل مكان ، فأيقنَ أنـــهُ الموت ولا مفر منه ، فأسرع الثعلب الملك لعلَّ في السرعة نجاة ، ولكنَّ اللقوة أدركتْ الثعلب ، فغرست مخالبها في جسمه ، مثلما أدرك فرسان بني أسد الملك ، وطعنوه بالرماح في جنبه ، فتجدل الثعلب الملك مصروعا تحت مخالب اللقوة ، وأقدام الفرسان ، فأصبح الثعلب يعوي من شدة آلامِ مخالب اللقوة التي انغرست في جسمه ، والملك يصرخ من طعنات الرماح التي مزقت جنبيه ، وهذه القصة على الرغم من قصرها وازدواج مدلولها ، إلا أنـــها مثلتْ ثورة المظلوم على الظالم ، وغـــزلة الحق على الباطل ، فوجدنا الطغاة في ملكهم أقوياء ، ولكنَّ قوتهم في واقع الحال هشة لأنـــها مستمدة من البطانة المحيطة بهم ، لذا فعندما تتمزق تلك البطانة ، يظهر الظالمون على حقيقتهم ضعفاء مثل الثعالب التي لا حول لها ولا قوة ، واللقوة وهي أنثى العقاب ، كانت خير رمز لقبيلة بني أسد الثائرة بوجه الذل والاستعباد ، فيما كان الثعلب هو الرمز المناسب للملك الظالم الطاغي .

بعد أنْ اقتصتْ قبيلة بني أسد من الملك الظالم ، استعادت حريتها بعد أنْ كسرت قيد الذل والعبودية ، هنا ثارت ثائرة امرئ

القيس الوريث الشرعي للملك الظالم المقتول ، فتوعد بني أسد بالإقتصاص منهم ، طلبا لثأر أبيه الملك ، فردَّ على عَبيد بن الأبرص ناقضا قصيدته ، مشبها نفسه بالعقاب ، فيما شبه قبيلة بني أسد بالذئب الهارب المذعور الذي تطارده عقاب ((لقوة)) ، فقال امرؤ القيس [٤]:

كأنَّـها حـين فاض الماءُ واحتفلتْ ... صقعاءُ لاحَ لها بالسرحةِ الذِّيبُ

فأبصرت شخصهُ من رأس مرقبةٍ ... ودون موقعها منهُ شـناخيبُ

صُبَّتْ عليه وما تنصبُ من أمـمٍ ... إنَّ الشقاءَ على الأشقينِ مصبوبُ

كالدلوِ بتتْ عُراها وهي مثقلـةٌ ... وخانها وَذَمٌ منها وتكريـبُ

ويلـمُّها من هواء الجوِّ طالبةً ... ولا كهذا الذي في الأرضِ مطلوبُ

كالبرقَ والرِّيحِ شدًّا منهما عجبا ... ما في اجتهادٍ عن الإسراعِ تغبيبُ

فأدركتـهُ فنالتـهُ مخالبهـا ... فانسـلَ من تحتها والدَّفُ منقوبُ

يلوذُ الصَّخر منها بعـدما فتـرتْ ... منها ومنهُ على العقبِ الشـآبيبُ

ثم اسـتغاث بدحلٍ وهي تعفـرهُ ... وباللسـانِ وبالشـدقينِ تتريبُ

مـا أخطأتهُ المنايا قيس أنملةٍ ... ولا تحـرزَ إلا وهـو مكروبُ

فظلَ منجحرا منهـا يراقبُهـا ... ويرقبُ العيشَ إنَّ العيشَ محبوبُ

أراد امرؤ القيس أنْ يقول لعَبيد بن الأبرص إذا كانت قبيلة بني أسد من وجهة نظرك لقوة شرسة مفترسة ، فأنا أيضا عقاب مفترس ، وشتان بين منْ يطاردُ ثعلبا وبين منْ يطاردُ ذئبا ، فعقابي أكبر صبرا من لقوتك ، وإذا شبهت أبي الملك بالثعلب الضعيف ، فأنتم عندي

---

[٤] ديوانـــــــه : ٢٢٦ – ٢٢٩ .

ذئبٌ ، ولكنـــهُ ذئبٌ بائس عفـــرهُ العقاب بالتراب ، فمرغ كبرياءهُ بالرمال ، فانجحر منه ، يطلبُ ملجا يحميه من قبضة الموت الزؤام الذي أحاط بحياته ، فجعل ينظر الى الحياة فيراها حلوة ، وهو يحبها ولا يريد أنْ يفارقها فيموت ، فلاذ بالصخور محتميا من انقضاضها ، وكانت العقاب قد أدركته ونشبت مخالبها في جسمه ، ولكنـــهُ أفلت من قبضتها ، وهو يشخبُ دما عبيطا ، لينجوَ بحياته ، إذ كان بينه وبين الموت قيد شعرة ، فظل مختبئا بين الأحجار والصخور حتى حجز الظلام بينهما ، فانفتل هاربا من شرّها ، والشاعر هنا يريد القول : إنـــهُ أدرك بعضَ ثأرهِ ولم يدركه كاملا ، وهذا هو طلسم نجاة الذئب الجريح من العقاب .

وفي ديوان الشماخ بن ضرار عقاب لها أفراخٌ صغار ، تطارد مجموعة من ثعالب ، فضلا عن قصيدة أخرى فيها عقابٌ يطارد أرانبا [٥]، فيما طارد عقاب الأعشى قطيعا من البقر الوحشي[٦]، فضلا عن العقبان التي وردت في شعر سلمة بن الخرشب [٧]، وامرئ القيس[٨] ، ودريد بن الصمة [٩]، والعرب تحبُّ العقابَ لأنـــهُ كريم لا يأكل لحوم الحيوانات الميتة ، ولا يأكل إلا مما يصطاد ، لذلك كثر في أشعارهم .

---

[٥] ديوانـــه : ٢٢٨ .

[٦] ديوانـــه : ٢٩ .

[٧] شرح اختيار المفضل : ١ / ١٧١ – ١٧٢ .

[٨] ديوانـــه : ٣٨ .

[٩] ديوانـــه : ٣٨ .

٢- **الصقرُ** : طائرٌ من الجوارح يُصادُ به ، قال ابن سيدة[١٠]: (كلِّ شيءٍ يصيد من البُزاة والشواهين ، والقطامي نوعٌ من الصقور ، وقال ابن الأعرابي :

كأنَّ عينيهِ إذا توقّـدا عينا قطاميٌّ من الصُقُـر بدا

والعرب تسمي الصقر أجدلا [١١]، والصقر يعدُّ من أصغر الجوارح حجما ، والصقر ونظرا لصغر حجمه فهو لا يصطادُ إلا القطا ، والحمام ، والفرائس الصغيرة الحجم ، وقد شبه شعراء العرب خيولهم التي انفتحت عن لوحات الناقة ، بالقطاة التي يطاردها صقرٌ ، فقد شبه زهير بن أبي سلمى سرعة فرسه بقطاة أبصرها صقرٌ فارتعبتْ منه فأسرعت بطيرانها لعلها تنجو من مخالبه القاتلة ، والمعروف أنَّ الخائف يعدو بأقصى سرعته ولا يشعر بالتعب فقـال [١٢] :

كأنّـها مـن قطا مـران جانئـة
فالجدُّ منها أمام السّرْبِ والسَّرعُ
تهوي كذلك والأعداد وجهتُـها
إذ راعها لحفيفٍ خلفها فَزَعُ
من عاقصٍ أمغر الساقينِ منصلتٍ
في الخدِّ منهُ إذا استبقتهُ سفـعُ

---

[١٠] لسان العرب ، مادة : صقر .

[١١] الأنوار ومحاسن الأشعار : ٣٠٣ .

[١٢] شـعره : ٢٥١ – ٢٥٣ .

مستجمعٍ قلبهُ طــرق قوادمــهُ

يدنو من الأرضِ طورا ثم يرتفعُ

أهوى لها فانتحتْ كالطَّرفِ جانحة

ثم اســتمر عليها وهو مُختضِعُ

من مرقبٍ في ذرى خلقاءَ راسية

حُجنُ المخالبِ لا يغتالهُ الشـــبعُ

جُــونيَّة كــقري السَّلم واثقــةٌ

نفسا بما سوف تــُوليهِ وتتـــدّعُ

ما الطرفُ أسرعُ منها حينَ يرعبها

جدُّ المُرجي فلا يأسٌ ولا طمـــعُ

حتى إذا قبضتْ أولى أظفــارهِ

منها وأوشـــكَ بما تخشــهُ يقعُ

حثَّ عليها ، بصكٍّ ، ليس مُؤتليــا

با ، هــو لأمثالها مــن مثلهِ بــدعُ

كذاك تيكَ وقــد جدَّ النجاءُ بها

والخيلُ تحت عجاج الروعِ تمتزعُ

شبه زُهير بن أبي سلمى فرسه التي أعــدها للحرب بقطاة تطير مطمئنة مع سربٍ من قطا مران وهي عطشى وقد اقتربت من الأرض (القطا من الطيور التي ترتفع عاليا في طيرانها) لتشرب الماء ، مع سربها ، فسمعت في هذا الوقت حفيفَ جناحي صقرٍ خلفها ، فتخلت شرب الماء ، وأسرعت تطير مسرعة أمام السرب ، لأنَّها تعرف أنَّ

الحفاظ على الحياة أهم من شرب الماء ، فالمرعوب الذي يرفرف الموت فوق رأسه لا يشعر بالعطش والجوع ، بل يواصل عدوه أو طيرانه حتى يتوارى عن مواضع الخطر ، لأنَّ إرادة الموت والخوف أقوى من إرادة التعب والجوع والعطش ، وهكذا كانت فرس زهير تعدو بهذه السرعة ، لكي تنجيه من الأعداء إنْ أراد النجاة ، وتمكنه من إدراك عدوه إنْ أراد اللحاق به.

وهناك كثير من الشعراء شبهوا خيولهم بالصقر لسرعة انقضاضه على فريسته من أمثال : الحارث بن حلزة الذي شبه فرسه بصقر يطارد حماما وذلك للدلالة على قوته وضعف أعدائه[١٣]، والنابغة الذبياني الذي شبه فرسه بقطاةٍ يطاردها صقر، للتعبير عن شجاعته وفروسيته وسرعة فرسه [١٤] ، وغيرهما كثير من الشعراء .

٣- **البـــاز** : من الجوارح الكبيرة الحجم ، التي تطير عاليا بسرعة الفائقة ، كأنـــّها في سرعة طيرانها تقفز مسافات طويلة[١٥] ، والباز أو البازي أذكى الجوارح فؤادا ، وأسرعها انقيادا ، وأحسنها منظرا ، وأكرمها مخبرا ، وآلفها للناس ، وأسرعها إلى الإستئناس[١٦]، وقد جاء تشبيه الفرس بالباز عند كثير من الشعراء ، وذلك لسرعتها

---

[١٣] ديوانـــــه : ٢٢ .

[١٤] ديوانـــــه : ١٧٦ – ١٧٨ .

[١٥] لسان العرب ، مادة : بأز .

[١٦] الأنوار ومحاسن الأشعار : ٢٨٠ .

لفائقة ، وهي عند العرب سرعة كبيرة لا تجاريها سرعة ، فهذا امرؤ القيس يشبه فرسهُ بباز ينقضُ على أرنب فقال[١٧]:

كأنَّ غلامي إذ عــلا حالَ متنهُ على ظهر بازٍ في السماءِ مُحلقِ
رأى أرنبا فانقض يهوي أمامــهُ إليها ، وجلَّاهــا بطــرفٍ مُلقلقِ

أراد امرؤ القيس بالباز نفسه ، وبالأرنب قبيلة بني أسد ، وهي كناية عن ضعف الخصم ، فامرؤ القيس حينما شبه فرسه بالباز ، أراد سرعة انقضاضه على عدوه بسرعة هذا الباز ، ثم نلحظ قوله (يهوي أمامه) وهو السقوط من أعلى فلا يحجزه عن الأرض مانع ، فهو يسقط بسرعة ، والباز يهوي إلى فريسته بذات السرعة ويكون موقع سقوطه أمام الفريسة التي ستكون مسرعة نحو حتفها ، وهو في انتظارها ، وكذلك نلحظ أنَّ امرأ القيس قال عن بازه (جلاها بطرف) ، أي رآها من شاهق مرتفع ، فمن المعروف أنَّ البزاة تمتاز بحدة النظر وهي تحلق بأعالي الجو ، وهي كناية عن رؤية امرئ القيس لبني أسد أينما كانوا . فالأعشى شبه فرسه بباز يطارد أسرابا من الحمام ، ليقول لنا أنــهُ فارس شجاع تفرُّ من بين يديه جموع الأعداء ، مثلما تفر أسراب الحمام من الباز [١٨]، أما فرس كعب بن زهير فكانت تعدو بأقصى سرعتها ، كأنها قطاة أرعبها باز ، فهي تطير بسرعة عالية جدا لتنجو من براثن الموت الذي تمثل لها على هيئة باز فقال[١٩]:

---

[١٧] ديوانــه : ١٧٣ .

[١٨] ديوانــه : ٢١ .

[١٩] ديوانــه : ١٧٣ – ١٧٤ .

تـنجو نجاءَ قطاة الجوِ أفزعها بذي العضاهِ أحسّتْ بازيـا طرقا
شهمٌ يكبُ القطا الكُدريّ مختضبُ الـ...أظفارَ حُرٌ ترى في عينهِ زرقا
باتتْ لـهُ ليلـة جـمٍ أهاضبهـا وبات ينفض عـنه الطـل واللثـقا
حتى إذا مـا انجلتْ ظلماء ليلتهِ وانجابَ عنه بياضُ الصبحِ فانفلقـا
غـدا على قـدرٍ يهوي ففاجأهـا فانقضَّ وهو يوشك الصيد قد وثقـا
لا شـيءَ أجودُ منها وهي طيّبـةٌ نفسـا بما سوف يُنجيها وإنْ لحقا
نفَّرها عن حياضِ الموتِ فانتجعتْ ببطن لينـة مـاءَ لـم يكـن رقـا

وورد ذكر الباز عند عدد آخر من الشعراء منهم : المزرد بن ضرار وقد شبه فرسه بباز قانص[٢٠] ، وغيره كثير .

٤- **النسر** : وهو طائر معروف من العتاق ، قال الجوهري [٢١] : (النـسْرُ لا مخلب له ، وإنما له ظـفـرٌ كظفر الدجاجة والغراب والرخمة) وهو معروف بطيرانه العالي ، والنسور من الجوارح التي تعتاش على الصيد الجاهز ، وهي تأكل لحوم الأموات ، وما تخلفه الحروب والغزوات من أشلاء القتلى ، لأنـها لا تكلفُ نفسها عناء القنص والمطاردة ، لذا فهي معروفة عند العرب بصباع الطير ، لأنَّ ضباع الكواسر هي الأخرى تأكل لحوم الموتى وأشلاء القتلى ، وقد أكد هذه الحقيقة الشعراء العرب ، فهذا المهلهل بن ربيعة التغلبي يتوعد أعداءه من قبيلة بكر بن وائل ، بأنْ يجعل رجالهم طعاما للنسور والغربان فقال[٢٢]:

---

[٢٠] ديوانـــه : ٣٦ .

[٢١] لسان العرب ، مادة نسر .

[٢٢] المهلهل التغلبي : حياته وشعره : ٣٤٥ .

ولأتركنَّ رجـــالَ بكرٍ كلهـــم صرعى بكلِّ قرارةٍ ومكـــانِ
قتلى تباكرُها النسور وتمتلي منها خماصَ حواصلَ الغربانِ

وهذا بشر بن أبي خازم يفتخر بشجاعة قومه في الحروب ويشير إلى قوة فرسان قومه وشجاعتهم ، وما يخلفونه وراءهم من قتلى ليكونوا جزرا لضباع الجوّ وأراد بذلك النسور فقال[٢٣]:

فلـــو عاينتنا وبني كـــلابٍ ســـــمعتَ لنا بعقوتِهم زئيرا
وكم من جمعِ قومٍ قد تركنا ضباعَ الجوِ فيهم والنســـورا

وهذا المهلهل بن ربيعة التغلبي ثانية وهو يفخر بقتله بجير بن عباد وهمام ابن مرة البكريين وتركهما طعاما للنسور فقال[٢٤]:

وهتكتُ بهِ بيوتَ بني عبادٍ وبعضَ الغشمِ أشفى للصدورِ
وهـــمام بن مرة قد تركنا عليه القشـــمعانِ من النسور

وقد ورد ذكر النسر والنسور في شعر عدي بن زيد [٢٥] ، وزيد الخيل الطائي [٢٦]، وعند غيرهما من الشعراء .

٥- الشاهين : إذا كانت النسور تعدُّ من ضباع الطير ، فالشواهين تعدُّ من سباع الطير ، والشاهين ليس عربيا ويسمى بالسَوْذانق [٢٧]، وقد ورد

---

[٢٣] ديوانـــــه : ٩٣ .
[٢٤] المهلهل التغلبي : حياته وشعره : ٢٥٨ .
[٢٥] ديوانـــــه : ٧٩ .
[٢٦] ديوانـــــه : ٢٩٦ .
[٢٧] لسان العرب ، مادة : شهن ، الأنوار ومحاسن الأشعار : ٢٩٨ .

ذكر الشواهين في الشعر العربي ، فقد أسماها المهلهل بن ربيعة بسباع الطيو فقال [٢٨] :

حتى أبيدَ قبيلةً وقبيلةً وقبيلةً وقبيلتين جميعا

ونرى سباعَ الطيرِ تنقرُ أعينا وتجرُ أعضاءً لهم وضلوعا

وهذا الشاعر الضبّي ، أبيُ بن سُلمي بن ربيعة ، يشبه سرعة فرسه وهي تعدو مسرعة وهي تطارد أعداءه كأنّها شاهين يحلق في أعالي الجو ، وقد أبصر من شاهق أرنبا خرج يسرحُ ويمرحُ ، فانقض عليه ، وفرس أبي بن سُلمي هي أسرعُ من الشاهين نفسه ، حينما يمتطي صهوتها ، ويطارد عدوا ، ونلحظ هنا أنَّ أبيا بن سُلمي استعمل الإسم الفارسي للشاهين ، وهو السوذنيق بدلا من الإسم العربي ، فقال[٢٩]:

فلوْ طارَ ذو حافرٍ قبلها لطارتْ ولكنّهُ لمْ يطرْ

فما سوذنيقُ على مربأ خفيفُ الفؤادِ حديدُ النظرْ

رأى أرنب سنحتْ بالفضا فبادرها ولجات الغمرْ

بأسرعَ منها ولا منزعٌ يقمُصُها ركضهُ بالوترْ

فالشاعر يقول : إنَّ الطيران هو خاصية من خواص ذوات الريش ، أما ذوات الحوافر من الخيل والحمير والبغال ، فهي تعدو على الأرض ، وفرسه من شدة سرعتها الكبيرة ، كأنّها تطير مثل الشاهين الذي أسماه بالسوذنيق ، وتشبيه الفرس بالشاهين قليل جدا في الشعر العربي القديم ، ذلك لكون الشاهين غير عربي ، لذا لم يكثر التشبيه به

---

[٢٨] المهلهل التغلبي : حياته وشعره : ٢٨٢ .

[٢٩] قبيلة ضبّة : أخبارها وأشعارها : ١٢٦ .

إلا في العصر العباسي ، عندما استقرت المدَنية ، وكثُـر عدد الفرس ، فالفرس هم الذين جلبوا الشواهين من بلاد فارس إلى قصور الخلفاء العباسيين وأمرائهم ووزرائهم وولاتهم ، فأصبح الخلفاء والأمراء والوزراء حين يخرجون للصيد والقنص يصطحبون معهم الشواهين بدلا من الصقور والعقبان لأنـــّهما أكبرُ حجما منهما ، وأجمل شكلا ، وأسرعُ طيرانا في الوصول إلى الطرائد .

وخلاصة البحث أنَّ العرب ، ولاسيما الفرسان منهم شبهوا أنفسهم وخيولهم بالجوارح ، فقد شبهوا أنفسهم بالعقاب والباز والصقر والشاهين للتعبير عن فروسيتهم وشجاعتهم في الحروب ، أما النسر فلم يستشهدوا به إلا للتعبير عمّا تتركه المعارك والغزوات من قتلى وأشلاء لتكون طعاما للنسور ، لأنَّ النسور (ضباع الطير) تأكل اللحوم الميتة ، والعرب تأنف من ذلك ، وأما تشبيههم لخيولهم بالحيوانات المرعوبة التي تطاردها الجوارح ، فهو للتعبير عن إعجابهم بسرعة خيولهم في الكرِّ والفرِّ .

المصـــادر : ــ

- الأنوار ومحاسن الأشعار – لأبي الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي ، تحقيق صالح مهدي العزاوي ، دار الحرية للطباعة ، ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م ، بغداد .

- ديوان الأعشى الكبير – شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميز ، المطبعة النموذجية ، ١٩٥٠م ، مصر .

- ديوان امرئ القيس – ديوان امرئ القيس – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط٤ ، ١٩٨٤م ، مصر .

- ديوان بشر بن أبي خازم – تحقيق د . عزة حسن ، وزارة الثقافة ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م ، دمشق .

- ديوان الحارث بن حلزة – تحقيق هاشم الطعان ، مطبعة الإرشاد ، ١٩٦٩م ، بغداد .

- ديوان دريد بن الصمّة – جمع وتحقيق وشرح محمد خير البقاعي ، دار قتيبة ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

- ديوان عبيد بن الأبرص – تحقيق وشرح الدكتور حسين نصار ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط١ ، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م ، مصر .

- ديوان للشماخ بن ضرار – حققه وشرحه صلاح الدين الهادي ، دار المعارف ، ١٩٦٨م ، مصر .

- ديوان المزرد بن ضرار – تحقيق خليل ابراهيم العطية ، مطبعة أسعد ، ط١ ، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٢م ، بغداد .

- ديوان النابغة الذبياني – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط٢ ، ١٩٨٥م ، مصر .

- شرح اختيارات المفضل – للتبريزي (ت ٥٠٢هـ) تحقيق فخر الدين قباوة ، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م ، دمشق .

- شرح ديوان كعب بن زهير – رواية أبي سعيد السكري ، شرح نخبة من الأدباء ، دار الفكر للجميع ، ١٩٦٨م ، بيروت .

- شعر ديوان زهير بن أبي سلمى – صنعة الأعلم الشنتمري ، تحقيق الدكتور فخرالدين قباوة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، ط٣ ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م ، بيروت .

- قبيلة ضبّة أخبارها وأشعارها في الجاهلية وصدر الإسلام – جمع وتحقيق ودراسة د .عبداللطيف حمودي الطائي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ٢٠٠٩م ، بيروت .
- لسان العرب – لابن منظور (ت٧١١هـ) دار لسان العرب ، بيروت (د.ت).
- المهلهل التغلبي : حياته وشعره – دراسة وتحقيق نافع منجل شاهين الراجحي ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدّمة إلى مجلس كلية الآداب – الجامعة المستنصرية ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .